# المبحث الثالث

المسائل العقائدية في تفسيره :

تناول إبن عادل في ثنايا تفسيره الكثير من مسائل العقيدة، وكان في ذلك مبيناَ عقيدة الأشاعرة، واحتجاجاتهم بالآيات القرآنية لتعزيز أدلتهم[[1]](#footnote-0)، وقد ذكر آراء بعض الفرق الكلامية المخالفة، كالمعتزلة، والجبرية، والمشبهة، وغيرها.

وقد استدل بالقرآن الكريم، لدحض شبه بعض الفرق[[2]](#footnote-1)، هذا وقد عالج إبن عادل أّمّات المسائل العقيدية في تفسيره، من ذلك :

أولاً : ما يتعلق بوجود الله وصفاته :

لقد جاء القرآن الكريم مبِّيناً عظمة الله عز وجل، ومثبتاً بالأدلة وجوده، وقد ذكر علماء الكلام المسلمون بعضاً من هذه الأدلة، ومنها : (مخالفة الله عز وجل للحوادث) أي : للمخلوقات، وقد ذكر إبن عادل هذا الدليل في تفسيره لقوله تعالى : [قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهتَّدُون][[3]](#footnote-2) : (قال : احتج أهل السنَّة بهذه الآية على أن الحوادث بأسرها مراد لله تعالى، أمَّا مذهب المعتزلة في المشيئة، أن المشيئة لله تعالى محدثة من وجهين : الأول : أن دخول حرف (إن) يقتضي الحدوث.

الثاني : أنه تعالى علّق حصول الاهتداء على حصول مشيئة الاهتداء، فلما لم يكن حصول الاهتداء أزليَّاً وجب ألا تكون مشيئة الاهتداء أزلية[[4]](#footnote-3).

وفي معرض الاستدلال على وحدانية الله تعالى، أخذ إبن عادل بـ (دليل التمانع)[[5]](#footnote-4)، فقد استدل بقوله تعالى : [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا][[6]](#footnote-5) على دليل التمانع، فقال : (المعنى لو كان يتولاهما، ويدبر أمرهما شيء غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا ولا يجوز أن تكون (إلا) بمعنى الاستثناء، لأنها لو كانت استثناء لكان المعنى : لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله لفسدتا، وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله أن لا يحصل الفساد، وذلك باطل، لأنه لو كان فيهما آلهة فسواء كان الله معهم أو لم يكن الله معهم فالفساد لازم، ولما بطل حمله على الاستثناء ثبت ما ذكرنا. وهو أن المعنى : لو كان في السماء والأرض

آلهة غير الله لفسدتا، أي لخربتا، وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة، لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام، ويدل العقل على ذلك من وجوه :

الأول : أنا لو قدرنا إلهين لكان أحدهما إذا أنفرد صح منه تحريك الجسم وإذا أنفرد الثاني صح منه تسكينه فإذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كان عليه حال الانفراد، فعند الاجتماع يصح أن يحاول أحاول التحريك والآخر التسكين فإما أن يحصل المرادان، وهو محال، وإما أن يمتنعا وهو أيضاً محال، لأنه يكون كل واحد منهما عاجزاً وأيضاً المانع من تحصيل مراد كل واحد منهما مراد الآخر، والمعلول لا يحصل إلا مع علته، فلو امتنع المرادان لحصلا، وذلك محال وإما أن يمتنع أحدهما دون الثاني، وذلك أيضاً محال، لأن الممنوع يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهاً، ولأنه لما كان كل واحد منهما مستقلاً بالإيجاد لم يكن عجز أحدهما أولى من عجز الآخر، فثبت أن القول بوجود إلهين يوجب هذه الأقسام الفاسدة فكان القول به باطلاً.

الوجه الثاني : أن الإله يجب أن يكون قادراً على جميع الممكنات، فلو فرضنا الإلهين لكان كل واحد منهما قادراً على جميع الممكنات، فإذا أراد كل واحد منهما تحريك جسم فتلك الحركة إما أن تقع بهما معاً ولا تقع بواحد منهما أو تقع بواحد منهما أو تقع بأحدهما دون الثاني، والأول محال، لأن الأثر مع المؤثر المستقل واجب الحصول، ووجوب حصوله به يمنع من استناده إلى الثاني فلو اجتمع على الأثر الواحد مؤثران مستقلان يلزم أن يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما، فيكون محتاجاً إليهما وغنياً عنهما وهو محال، وإما أن لا يقع بواحد منهما البتة، فهذا يقتضي كونهما عاجزين، وأيضاً فامتناع وقوعه بهذا إنما يكون لأجل وقوعه بذاك وبالضد، فلو امتنع وقوعه بهما لوقع بهما معاً وهو محال، وإما أن يقع بأحدهما دون الثاني فهو باطل، لأن وقوعه بهذا يلزم فيه رجحان أحد الإلهين على الآخر من غير مرجح، وهو محال.

الوجه الثالث : لو قدرنا إلهين فإما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال، وإن اختلفا فإما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما، أو يقع أحدهما دون الآخر والكل محال، فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات[[7]](#footnote-6).

آيات الصفات :

التزم الإمام إبن عادل في تفسيره لآيات الصفات مذهب الخلف، في تفسيره لآيات الصفات، إذ يقول : (الأكثر من المتقدمين والمتأخرين على أنَّه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتَّحيّز، فمن ضرورة ذلك ولوازمه عند العلماء المتقدمين، وقادتهم من المتأخرين تنزيه تبارك وتعالى عن الجهة…)[[8]](#footnote-7)، ومن شواهده على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى : [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ][[9]](#footnote-8) : (أعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد من الآية كونه مستقراً على العرش، ويدل على فساده أمور :

أحدهما : أنه لو كان مستقراً على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهياً، وإلا لزم كون العرش داخلاً في ذاته، وهو محال وكل ما كان متناهياً فإن العقل يقتضي بأنه لا يمنع أن يصير أزيد منه أو أنقص منه بذرة، والعلم بهذا الجواز ضروري، فلو كان الباري تعالى متناهياً من بعض الجوانب لكانت ذاتُهُ قابلية للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بذلك المقدار المعين، لتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان كذلك فهو محدث فثبت أنه تعالى لو كان على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهياً ولو كان كذلك لكان محدثاً وهذا مُحال فكونه على العرش يجب أن يكون محالاً.

وثانيهما : لو كان في مكان وجهه، لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً من كل الجهات وإما أن يكون متناهياً عن بعض الجهات دون البعض، والكل باطل، فالقول بكونه في المكان والحيز باطل قطعاً.

والثالث : وهو أنَّ ذات الله تعالى إذا كانت حاصلةً في جميع الأحياز والجهات فإمَّا أن يُقال الشيء الذي حصل فوق هو عين الشيء الذي حصل تحت فحينئذ تكون الذَّات الواحدة قد حصلت دفعة واحدة في أحياز كثيرة وإن عُقل ذلك فلم لا يُعْقلُ أيضاً حصول الجسم الواحد في أحياز كثيرة دفعة واحدة؟ وهو محال في بديهة العقل، وإمَّا إن قيل إن الشيء الذي حصل فوق غير الشيء الذي حصل تحت، فحينئذ يلزم حصول التركيب والتبعيض في ذات الله تعالى وهو مُحال[[10]](#footnote-9).

مسألة خلق القرآن :

انقسم أهل الكلام في مسألة خلق القرآن، على قسمين : فرقة مذاهب أهل السنَّة[[11]](#footnote-10)، وفرقة المعتزلة.

وأهل السُّنَّة، وردت خلافات جانبية في الكلام على هذه المسألة، إلا أنهم اتفقوا على أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة[[12]](#footnote-11).

وأما المعتزلة، فقد قالوا بخلق القرآن، بمعنى : (أنَّه مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه)[[13]](#footnote-12).

وأكثر إبن عادل الحنبلي من الرد على المعتزلة في مسألة خلق القرآن الكريم، ودحض شبههم، يقول في الآية الكريمة : [كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ][[14]](#footnote-13) : (احتج القائلون بخلق القرآن الكريم بقوله : [كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ]، فوصف بكونه منزلاً و الإنزال يقتضي الانتقال من حال إلى حال، وذلك لا يليق بالقديم فدل على أنه محدث.

والجواب أن الموصوف بالإنزال والتنزيل على سبيل المجاز هو هذه الحروف ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة.

فإن قيل : هب أنَّ المراد منه الحروف إلا أنه الحروف إعراض غير باقيه بدليل أنّها متوالية وكونها متوالية يُشعر بعدم بقائها، وإذا كان كذلك فالعرض الذي لا يبقى زمانين كيف يعقل وصفه بالنزول؟

فالجواب : أنه سبحانه وتعالى أحدث هذه الرقوم والنقوش في اللوح المحفوظ ثم إنَّ الملك يطالع تلك النقوش، وينزل من السماء إلى الأرض ويعلم محمداً –صلوات الله وسلامه علي0- تلك الحروف والكلمات، فكان المراد بكون تلك الحروف نازلة هو أن مبلغها نزل من السماء إلى الأرض[[15]](#footnote-14).

ومِمّا يتعلَّق بالاختلاف في مسألة (خلق القرآن)، الاختلاف في مسألة (نداء الله للرسل)، وقد بَيَّن إبن عادل الحنبلي اختلاف أهل السُّنَّة فيها، ورأي المعتزلة فيها، يقول في الآية الكريمة : [وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى][[16]](#footnote-15) : (واختلف في النداء الذي سمعه موسى –عليه السلام- من الله تعالى، فقيل : هو الكلام القديم، فكما أن ذاتهُ تعالى لا تشبه سائر الذوات مع أن الدليل دل على أنها معلومة ومرتبة، فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحروف والصوت مع أنه مسموع، وقيل : كان نداء من جنس الحروف والأصوات.

وقالت المعتزلة : كان ذلك النداء حروفاً وأصواتاً علم به موسى من قبل الله تعالى فصار معجزاً، علم به موسى أن الله تعالى مخاطب له فلم يحتج مع ذلك إلى واسطة)[[17]](#footnote-16).

مسألة رؤية الله عز وجل :

وهي من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنَّة، وبقية الفرق الكلامية كالمعتزلة، والخوارج، والجَهْميَّة، وغيرهم. وقولهم باطل مردود بالأدلة العقلية والنقلية.

قال أهل السنَّة : (ورؤية الله تعالى جائزة في العقل، واجبةٌ بالنقل، ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى في الدار الآخرة)[[18]](#footnote-17).

يقول إبن عادل في تفسير الآية الكريمة : [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ][[19]](#footnote-18) : (دلت الآية على أنه تعالى يجوز أن يُرى، لأنَّ موسى –عليه الصلاة والسلام- سأل الرُّؤية، ولا شكَّ أنّه كان عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على الله، فلو كانت ممتنعة على الله تعالى لما سألها)[[20]](#footnote-19).

وقد رد الإمام إبن عادل على قول المعتزلة ينفون رؤية الله عز وجل يوم القيامة، ففي تفسيره لقوله تعالى : [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ][[21]](#footnote-20)، يقول : (وجمهور أهل السنّة تمسك بهذه الآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى : [لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ][[22]](#footnote-21)، ويقولون : النظر المقرون بـ (إلى) ليس إسماً للرؤية، بل لمقدمة الرؤية، وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة، وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى : [وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ][[23]](#footnote-22)، فأثبت النظر حال عدم الرؤية، ويقال : نظر إليه شزراً، ونظر إليه غضبان، ونظر راضياً، ولا يقال ذلك في الرؤية، ويقال : وجوه متناظرة، أي : متقابلة ويقال : نظر إليه حتى تراه، فتكون الرؤية غاية للنظر، وأن النظر يحصل والرؤية غير حاصلة.

ولا رؤية مع النظر المقرون بـ (إلى) وقال تعالى : [وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ][[24]](#footnote-23)، ومن قال لا يراهم كفر، قالوا : ويمكن أن يكون معنى قوله تعالى : [نَاظِرَةٌ) أي : منتظرة، كقولك : أنا أنظر إليك في حاجتي، أو يكون (إلى) مفرد (آلاء) وهي النعم، والمراد إلى ثواب ربها، لأن الدلالة العقلية والسمعية لما منعت الرؤية وجب التأويل، أو يكون المعنى أنها لا تسأل، ولا ترغب إلى الله عز وجل، كقوله : (أعبد الله كأنَّك تَراهُ)، والجواب : لنا مقامان :

الأول : أن تقول : النظر هو الرؤية كقول موسى -عليه الصلاة والسلام- [رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ][[25]](#footnote-24)، فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان، ولأنه أخر النظر عن الإرادة فلا يكون تقليب.

المقام الثاني : سلمنا ما ذكره تموه من أن النظر تقليب الحدقة للرؤية، لكن يقدر حمله على الحقيقة، فيجب الحمل على الرؤية إطلاقاً لإسم السبب على المسبب، وهو أولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة، لأن تقليب الحدقة كالسبب للرؤية، ولا تعلق بينه وبين الانتظار.

وأما قولهم : نحمله على الانتظار، قلنا : الذي هو بمعنى الانتظار، وفي القرآن غير مقرون، كقوله تعالى : [انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ][[26]](#footnote-25) و[هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ][[27]](#footnote-26)، والذي ندَّعيه أن النظر المقرون بـ (إلى) ليس بمعنى الرؤية، لأن وروده بمعنى الرؤية، أو بمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر، فلا يكون بمعنى الانتظار دفعاً للاشتراك[[28]](#footnote-27).

مسألة خلق أفعال العباد :

ذهب أهل السّنَّة، إلى أن الله تعالى هو الذي خلق أفعال العباد جميعها، إذ قالوا (والله تعالى خالق لأفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وهي كلها بإرادته ومشيئته، وحكمه، وقضيته، وتقديره[[29]](#footnote-28).

قال إبن عادل : (احتج أهل السّنَّة على أنَّ فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله : [يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ][[30]](#footnote-29)، فإن المراد من هذا العذاب، القتل والأمر، وظاهر هذا النص يدل على أنَّ ذلك القتل والأسر فعل الله تعالى، يدخله في الوجود على أيدي العباد[[31]](#footnote-30).

أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى أن العبد خالقٌ لأفعاله[[32]](#footnote-31)، وقد استدلوا بآيات من القرآن الكريم، على صحة قولهم، ومن ذلك قوله في الآية الكريمة : [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ][[33]](#footnote-32) : (قالت المعتزلة : دلت هذه الآية على أن العبد فاعلٌ، وعلى أنَّه بعمل السوء يستحق الجزاء، وإذا كان كذلك، دلت على أنَّ الله غير خالق لأفعال العباد من وجهين :

أحدُهُما : أنه لما كان عملاً للعبد، امتنع كونه عملاً لله، لامتناع حُصُول مقدور واحد بقادرين.

والثاني : أنه لو حَصَل بخلق الله، لما استحق العبد جزاء البتَّة، وذلك باطل، لأن الآية دلَّت على أن العبد يستحق الجزاء على عمله[[34]](#footnote-33).

وقد استدل إبن عادل بآيات من القرآن الكريم، على أن الكفر، والإيمان من الله تعالى، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة : [أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ][[35]](#footnote-34) : (دلت هذه الآية على أن الكفر، والإيمان من الله، لأن قوله : [وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ]، كفاية عن المعرفة، والهدى، وذلك يدل على أن هذه الأمور من الله تبارك وتعالى والدلائل العقلية ساعدت على صحة ذلك، لأن العاقل لا يختار الجهل، والكفر لنفسه، فمن المحال أن يختار الإنسان جَعْلَ نفسه كافراً جاهلاً، فلما قصد لتحصيل الإيمان والمعرفة، ولم يحصل ذلك، وإنما حصل ضدُّه، وهو : الكفر، والجهل، علمنا أن ذلك بإيجاد غيره)[[36]](#footnote-35).

ثانياً : ما يتعلق بالأنبياء :

أورد الإمام إبن عادل الحنبلي مسائل كثيرة، وقسماً منها يتعلق بالأنبياء، فذكر مباحث في تفسيره، في عصمة الأنبياء، ورد شبه الطاعنين، وتفضيل الأنبياء.

عصمة الأنبياء :

وهي من الصفات الواجبة لهم، باتفاق أهل السُّنَّة[[37]](#footnote-36)، والأنبياء عليهم السلام، كلهم معصومون، يقول إبن في الآية الكريمة : [لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ][[38]](#footnote-37) : (دلت هذه الآية على عصمة الأنبياء من وجهين :

الأول : أنَّه قد ثبت أن المراد من هذا العهد : الأمانة، ولا شك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقاً، فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاعلاً للذنب والمعصية أولى.

الثاني : أنَّ العهد إن كان هو النبوة، وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظّالمين، وإن كانت هو الإمامة، كذلك لأن كل نبي لابد أن يكون إماماً يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه، فوجب ألا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين)[[39]](#footnote-38).

وعُني إبن عادل برد شبه الطاعنين بعصمة الأنبياء بعد نبوتهم، ومن ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة : [وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً][[40]](#footnote-39) : (قال الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم السلام : دلّت هذه الآية على صدور الذنب من الرسول عليه الصلاة والسلام فإنَّه لولا أن الرسول –عليه الصلاة والسلام- أراد أن يخاصم لأجل الخائن و يذب عنه، وإلا لما ورد النَّهي عنه.

والجواب : أنَّه لمَّا ثبت في الرؤية : أن قوم طعمة لما التمسوا من الرسول –عليه الصلاة والسلام- أن يذب عن طعمة، وأن يلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي، فنزلت الآية، وكان الغرض من هذا النهي : تنبيه النبي –عليه الصلاة والسلام- على أن طعمة كذّاب، وأنَّ اليهودي بريءٌ من ذلك الجُرم[[41]](#footnote-40).

وقال في الآية الكريمة : [وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ][[42]](#footnote-41) : (احتج الطَّاعنون في عصمة الأنبياء بهذه الآية من وجوه :

أحدها : أنَّه –عليه الصلاة والسلام- طَردَهم، والله تعالى نهاه عن ذلك، فكان ذنباً.

وثانيهما : أنه تعالى قال : [فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِين]، وقد ثبت أنه طردهم.

وثالثها : أنه تعالى حكى عن نوح أنه قال : [وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ][[43]](#footnote-42)، ثم أنه تعالى أمر محمداً –عليه الصلاة والسلام- بمتابعة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- في جميع الأعمال الحَسَنة بقوله : [فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه][[44]](#footnote-43)، فوجب على محمد –عليه الصلاة والسلام- ألا يطردهم فلما طردهم كان ذلك ذنباً.

ورابعها : أنه قال : [وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا][[45]](#footnote-44)، فنهاه عن الالتفات إلى زينة الحياة الدنيا، فكان ذلك ذنباً.

وخامسها : أن أولئك الفقراء كانوا كُلَّما دخلوا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الواقعة يقول : (مرحباً بمن عاتبني رَبّي فيهم)[[46]](#footnote-45) أو لفظاً هذا معناه، وذلك أيضاً يدل على الذنب.

فالجواب : أنه –عليه الصلاة والسلام، ما طردهم لأجل الاستخفاف بهم ولا استنكاف من فقرهم، وإنَّما عيَّن لجلوسهم وقْتاً معّيناً سوى الوقت الذي كان يحضر فيه أكابر قريش، وكان عرضه التَّلطُّف بهم في إدخالهم في الإسلام، ولعله –عليه الصلاة والسلام- كان يقول : هؤلاء الفقراء من المسلمين لا يفوتهم بسبب هذه المعاملة شيء من أمرِهم في الدنيا وفي الدين، وهؤلاء الكفار فإنه يفوتهم الدين والإسلام، فكان ترجيح هذا الجانب أولى، فأقصى ما يقول، إن هذا الاجتهاد وقع خطأ إلاَّ أن الخطأ في الاجتهاد مغفور.

وأما قولهم : إنه –عليه الصلاة والسلام- طَرَدَهُم، فيلزم كونه من الظالمين ؟

الجواب : أن الظلمُ عبارةٌ عن موضع الشيء في غير موضعه، والمعنى أن أولئك الفقراء كانوا يستحقون التعظيم من الرسول –عليه الصلاة والسلام- فلمَّا طردهم عن ذلك ترك الواجبات، وكذلك الجواب عن سائر الوجوه، فإنَّا نَحمل كلَّ هذه الوجوه على تَرْكِ الأفضل والأكمل والأولى، والله أعلم[[47]](#footnote-46).

ثالثاً : ما يتعلق بالملائكة :

الملائكة : قال إبن عادل : (وأصل الملائكة ملاوكة، فقلبت (الواو همزة) ولكن شرط قلب الواو والياء همزة بعد ألف مفاعل أن تكون زائدة نحو (عجائز) على أنه قد جاء ذلك في الأصل قليلاً (مصائب))[[48]](#footnote-47).

واختلف في ماهية الملائكة، قال إبن عادل : (اختلفوا في ماهيّة الملائكة، وحقيقتهم، والضابط فيه أن يقال : إن الملائكة ذوات قائمة بأنفسها، وهي إما متحيّزة، أو ليست بمتحيزة، فإن كانت متحّيزة فهاهنا أقوال :

أحدها : أنها أجسام لطيفة هوائية على تقدر التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات، وهذا قول أكثر المسلمين، وإلى هذا مال إبن عادل.

الثاني : قول طوائف من عبدة الأوثان : إن الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد، والإنحْاس، فَالمُسعِدات منها ملائكة الرَّحمة، والمنحسات منها ملائكة العذاب.

الثالث : قول معظم المجوس، والوثنية : وهو أن هذا العالم مركب من أصلين أزليين، وهما النور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شفَّافان مختاران قادران، متضادا النَّفس والصورة، مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النّور فاضل خيّر، نقي طيب الريح، كريم النفس يسر ولا يضر، وينفع ولا يمنع، ويحيا ولا يبلى، وجوهر الظلمة، على ضد ذلك.

ثم أن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء، وهم الملائكة لا على سبيل التَّناكح، بل على سبيل تولّد الحكمة من الحكيم، والضوء من المضيء، وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء، وهم الشياطين على سبيل تولّد السَّفه من السفيه لا على سبيل التناكح.

القول الثاني : وهو أنها ذوات قائمة بأنفسها، وليست بمتحيّزة، ولا بأجسام.

فهاهنا قولان :

الأول : قول طوائف من النَّصارى، وهو أن الملائكة في الحقيقة هي الأنفس النَّاطقة المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيرية، وذلك لأن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كَدِرَة فهي الشياطين.

والثاني : قول الفلاسفة وهي أنها جواهر قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة البتة، وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، وأنها أكمل قوة منها، وأكثر علماً منها، وأنها النفوس الناطقة البشرية سارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء، ثم إن هذه الجواهر على قسمين :

منها ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، ومنها ما هي لا على شيء من تدبير الأفلاك، بل هي مستغرقة في معرفة الله، ومحبته ومشتغلة بطاعته، وهذا القسم هم الملائكة المقربون، ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السموات، كنسبة أولئك المدبرون إلى نفوسنا الناطقة، فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما، ومنهم من أثبت أنواعاً أُخر من الملائكة، وهي الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي، ثم إن المدبرات لهذا العالم إن كانت خيرةً فهم الملائكة، وإن كانت شريرة فهم الشياطين)[[49]](#footnote-48).

رابعاً : ما يتعلق بالصحابة –رضي الله عنهم جميعاً- فقد عُني إبن عادل بهذا الموضوع في تفسيره، فبين الآيات التي تدل على فضل الصحابة، والرد على بعض الفرق الذين ينالون من أصحاب رسول الله –عليه الصلاة والسلام-.

ومن ذلك يقول في الآية الكريمة : [ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا][[50]](#footnote-49) : (دلت هذه الآية على فضيلة أبي بكر الصديق)[[51]](#footnote-50).

وقد ردَّ إبن عادل على الطاعنين بالصحابة الكرام، ومن ذلك ردّه على الطاعنين لأبي بكر الصديق –رضي الله عنه-، يقول : (وطعن بعض الروافض في صحبة أبي بكرٍ وقال : كونه ثاني اثنين للرسول لا يكون أعظم من كون الله رابعاً لكل ثلاثة في قوله تعالى : [مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ][[52]](#footnote-51)، ثم إن هذا الحكم عام في حق المؤمن والكافر، فلما لم يكن هذا المعنى من الله دالاً على فضيلة الإنسان فلأن لا يدل من النبي –عليه الصلاة والسلام- على فضيلة الإنسان أولى؟

والجواب : أنَّ هذا تعسف بارد، لأنَّ المراد هناك كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير، وكونه مطلعاً على ضمير كل واحد، أمَّا هنا فالمراد بقوله : [ثَانِيَ اثْنَيْنِ] تخصيصه بهذه الصفة في معرض التعظيم)[[53]](#footnote-52).

خامساً : ما يتعلق بالسمعيات :

تكلم على عذاب القبر وأنه حق[[54]](#footnote-53)، وتكلم على علامات يوم القيامة[[55]](#footnote-54)، وتكلم عن الشفاعة[[56]](#footnote-55)، وأن أصحاب لا إله إلا الله لا يخلدون في النار[[57]](#footnote-56)، وأن من مات صغيراً دخل الجنَّة[[58]](#footnote-57)، وأن الجنة والنار مخلوقتان[[59]](#footnote-58).

ما يتعلق بالأديان والفرق :

توسع إبن عادل في ذكر مسائل العقيدة، والرد على الفرق الأخرى التي خالفت اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، ومن هذه الفرق :

أولاً : المعتزلة

وهي من أكثر الفرق وروداً في تفسيره، حيث رد آرائهم، في كثير من المسائل الكلامية[[60]](#footnote-59)، تبلور الفكر الاعتزالي على يد قيادتها التي تمثلت في أبي حذيفة وأصل بن عطاء الغزال (80-131هـ)، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، إذ لم يقبل واصل إبن عطاء بقول الخوارج في مرتكب الكبيرة بأنه كافر، ولا يقول الحسن البصري بأنه منافق، وإنما قال فيه قولاً جديداً، بأنه فاسق، وعلى هذا اعتزل مجلسه، فسمي هو وأصحابه معتزلة[[61]](#footnote-60).

ثانياً : المرجئة

والإرجاء : هو فك الارتباط ما بين العمل والإيمان، حتى لا تتوقف صحة الإيمان على العمال التي تعرب عنه وتدل عليه، فلا تنفع مع الكفر طاعة ولا مع الإيمان معصية[[62]](#footnote-61).

وقد ردَّ إبن عادل الحنبلي في تفسيره، آراء المرجئة الكلامية[[63]](#footnote-62).

ثالثاً : الخوارج

سُمُّوا بـ (الخوارج) لخروجهم على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة وانتزاع أيديهم عن طاعته[[64]](#footnote-63)، وقد رد إبن عادل الحنبلي آرائهم المبتدعة[[65]](#footnote-64).

رابعاً : الجبرية

الجبر : هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى[[66]](#footnote-65). وقد رد إبن عادل أحوالهم المنحرفة[[67]](#footnote-66).

الفصل الثامن

المبحث الأول

(اللباب في علوم الكتاب) مَالهُ وما عَلَيْه

وبعد هذه الدراسة الشاملة لمنهج إبن عادل الحنبلي في تفسيره (اللباب)، لابد من وقفةٍ أعرض فيها أهم ما امتاز به التفسير، ثم بيان ما عليه من مآخذ كي تتضح أمامنا صورة منهجه.

- محاسن تفسير (اللباب) :

1-أولُ ما يُلاحظ على تفسير (اللباب) أنه جمع بين مدرستي الأثر، والرأي وهذا ما جعله ذا قيمة عالية، يقول أهل الاختصاص : (إنَّ الجمع بين المنقول من التفسير، واستخدام الاستنباط، وبيان إعجاز القرآن، إنَّ التحلي بالوصفين لا يخفى أنه أرجح الأصناف)[[68]](#footnote-67).

2-ومما امتاز به التفسير أنه جاء، بعبارة مسبوكةٍ علمية دقيقة.

3-يعد (اللباب) ملخصاً لمجموعة من كتب العلماء كالكشاف، والتفسير الكبير والدر المصون…).

4-اهتم إبن عادل بـ (علم التناسب) بين الآيات والسور القرآنية، وهو علم قل المهتمون به.

5-واهتم إبن عادل في تفسير بـ (علوم العربية) كالنحو، والصرف، والبلاغة، وغيرها…

6-احتوائه على مباحث علوم القرآن.

7-امتاز بكثرة نقله عن العلماء السابقين.

8-امتاز بندرة الروايات الإسرائيلية في تفسيره.

9-احتوائه على الكثير من المسائل الفقهية والأصولية.

10-امتاز بعدم تعصبه لمذهبه، بل التزم ذكر الرأي الراجح في تفسيره.

11-احتوائه على العلوم الكلامية، ونصرة مذهب أهل السنة والجامعة والرد على الفرق الأخرى.

وقد سجلت على (إبن عادل) في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب) بعض الماآخذ منها:

1-ورود الأحاديث الضعيفة التي أوردها في فضائل السور القرآنية.

2-عدم الترجيح بين أقوال المفسرين عند عرضها.

3-أنَّه يورد أقوال بعض الأعلام، ممن اشتهروا بكثرة مؤلفاتهم، من غير أن ينسب أقوالهم إلى مؤلفاتهم.

4-النقل لمحتويات كتاب كامل كما حصل مع (الدر المصون).

المبحث الثاني

أثره فيما جاء بعده من التفاسير

تتضح لنا أهمية كتاب (اللباب) من خلال العلماء الذين جاءوا بعده متأثرين بتفسيره، ومن خلال البحث في كتب التفسير، وجدت أن عدد من العلماء اعتمدوا النقل عن تفسير إبن عادل، ولا عجب في ذلك لأنه قد جمع أكثر الكتب التي سبقته، فاستخلص لكتابه ما فيها من نفائس التفسير، فهو حلقة وصل بين الذين سبقوه، والذين جاءوا بعده.

ومن المفَّسرين الذين اعتمدوا تفسير (اللباب في علوم الكتاب) مصدراً من مصادر تفاسيرهم) ، (محمد بن احمد الشربيني الخطيب) في بيان المسائل اللغوية والكثير من القراءات وتوجيهها، فقد رجع إلى تفسير إبن عادل في (129) موضوعاً من تفسيره[[69]](#footnote-68)، ومن المفسرين الذين أخذوا عن إبن عادل، القاضي أبي زكريا الأنصاري (ت926هـ) في تفسير سورة التوبة، في حاشيته على البيضاوي[[70]](#footnote-69)، وكذلك الآلوسي نقل قسماً من مباحث علوم القرآن[[71]](#footnote-70)،….

المصادر

1-الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل الإمام المتكلم وإليه تنسب الأشعرية وقد أخذ الجدل عن أبي علي الجباني المعتزلي ثم رد على المعتزلة وفند مذهبهم، توفي عام 324هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 2/203-205.

2-الأصمعي : أبو سعيد الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي أصمع الباهلي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، توفي عام 216هـ.

ينظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء : 90-101.

أنباء الرواة : 2/197-250، الأعلام : 4/380.

3-إبن الأعرابي : أبو سعيد، احمد بن محمد بن زياد بن بشير درهم المؤرخ من علماء البصرة ومن كبار علماء اللغة، توفي عام 340هـ.

ينظر : نزهة الألباء : 119-123، الأعلام : 1/199.

4-الأعمش : أبو محمد، سليمان بن مهران الأزدي تابعي مشهور أصله من بلاد الري ومنشأه ووفاته بالكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، توفي عام 148هـ.

ينظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال : 155، الأعلام : 3/198.

5-الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، فقيه الشام، إمام من عام 158هـ، بيروت.

ينظر : تهذيب التهذيب : 6/242، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : 234.

6-البغوي : الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، البغوي، فقيه ومحدث ومفسر من أهل خراسان يلقب بمحيي السنة، توفي عام 510هـ، بمرو الروف.

ينظر : طبقات المفسرين 1/157-158، البغوي ومنهجه في التفسير : 29-48.

7-البلقيني : سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر الكناني العسقلاني الشافعي، مجتهد، حافظ للحديث، توفي عام 805هـ.

8-أبو بكر بن العربي : محمد بن عبد الله بن محمد المعامزي الأشبيلي المالكي، من كبار فقهاء المالكية ومن أئمة التفسير والحديث برع في الأدب وبلغ رتبه الاجتهاد، له مصنفات كثيرة، توفي بفاس 543هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/162-166، الأعلام : 7/106.

9-البيضاوي : أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد من قرية يقال لها (البيضا) من أعمال شيران فقيه شافعي ومفسر، توفي عام 685هـ على الأرجح.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/242، شذرات الذهب : 5/392، البيضاوي ومنهجه في التفسير : 12-21.

10-التفازاني : (السعد التفتازاني)، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، من أئمة العربية والبيان والمنطق، توفي عام 791هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/319، شذرات الذهب : 6/319، البدر الطالع : 2/303، الأعلام : 8/113.

11-الثعالبي : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مفسر من كبار علماء الجزائر وصلحائها الأبرار، رحل إلى تونس ومصر والحجاز وتركيا وأخذ من علمائها له تفسير يسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، توفي عام 875هـ.

ينظر : الضوء اللامع : 4/152، هدية العارفين : 1/532، إيضاح المكنون : 1/239، معجم المؤلفين : 5/192، معجم المفسرين : 1/276، الأعلام : 4/107.

12-الجاحظ : أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، الشهير بالجاحظ، من أئمة الأدب ومن أئمة المعتزلة توفي عام 255هـ.

ينظر : الأعلام : 4/305.

13-إبن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، فقيه الحرم المكي، كان إمام أهل الحجاز وأول من صنف التصانيف في العلم بمكة، توفي عام 150هـ.

ينظر : الأعلام : 4/305.

14-الجصاص : احمد بن علي الرازي، من أكابر علماء الحنفية، كان ورعاً، امتنع عن القضاء وإليه انتهت رئاسة الحنفية، توفي عام 370هـ.

ينظر : الأعلام : 1/165.

15-جلال الدين السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، اشتهر بشتى المعارف، وصنف في علوم شتى/ من نحو، ولغة، وفقه، وحديث، وكلام، وأصول، فكان مبرزاً في جميعها، توفي عام 911هـ.

ينظر : الضوء اللامع : 2/488، شذرات الذهب : 8/51.

16-إبن الجوزي : أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، الجوزي القرشي البغدادي، علامة عصره في الحديث، والتاريخ، كان كثير التصانيف، توفي ببغداد عام 597هـ.

ينظر : الأعلام : 4/89.

17-إبن مجر العسقلاني : أبو الفضل، احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، شارح صحيح البخاري، أحد أعلام الشافعية، وحافظ الإسلام في عصره، توفي عام 852هـ.

ينظر : الضوء اللامع : 2/36، شذرات الذهب : 7/70، الأعلام : 1/173.

18-الحوفي : أبو الحسن، علي بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيمي، البغدادي، الطوفي، خازن الكتب بالسمياساطية، توفي بحلب عام 741هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/422-423، شذرات الذهب : 6/131، الأعلام : 5/156.

19-الخطابي : أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، فقيه، ومحدث، توفي عام 388هـ.

ينظر : الأعلام : 2/304.

20-الخطيب البغدادي : أبو بكر، احمد بن علي بن ثابت البغدادي، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، توفي عام 463هـ.

ينظر : الأعلام : 1/166.

21-داود الظاهري : أبو سليمان، داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الملقب بـ (الظاهري) أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، ينسب إليه المذهب الظاهري.

ينظر : الأعلام : 3/8.

22-الرازي : أبو عبد الله، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن، أصله من خيرستان، ومولده بالري، له أثار كثيرة، من أشهرها تفسيره المسمى (مفاتيح الغيب)، توفي بهران عام 606هـ.

ينظر : الأعلام : 7/203.

23-الراغب الأصبهاني : أبو القاسم، الحسين بن محمد المفضل، أديب، حكيم، من علماء أصبهان، اشتهر حتى قرن بالغزالي، توفي عام 502هـ.

ينظر : الأعلام : 2/279، معجم المفسرين : 1/158.

24-الروياني : عبد الواحد بن إسماعيل الروياني، قاضي القضاة، الملقب بـ (فخر الإسلام) من كبار فقهاء الشافعية، توفي عام 5-2هـ.

ينظر : الأعلام : 324.

25-الزجاج : أبو إسحاق، إبراهيم بن السوي بن سهل الزجاج، مفسر، نحوي، لغوي، توفي عام 311هـ.

ينظر : نزهة الألباء 183-185، بغية الوعاة : 1/5411، طبقات المفسرين : 1/7.

26-الزمخشري : أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، المغزي، مفسر، فقيه، حنفي، يلقب بـ (جار الله الزمخشري)، توفي عام 538هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/314-316، منهج الزمخشري في تفسير القرآن : 23-42.

27-الزهري : أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، أحد الأئمة الأعلام، عالم الحجاز والشام، تابعي مشهور، من أهل المدينة، ومن كبار الحفاظ الفقهاء، وهو أول من دوَّن الحديث، توفي عام 125هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 9/445، تقريب التهذيب : 337.

28-أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، الصحابي الجليل، واحد من المكثرين من الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، توفي بالمدينة عام 74هـ.

ينظر : الأصابة : 2/35، تهذيب التهذيب : 3/479، شذرات الذهب : 81/1.

29-سفيان الثوري : أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، إمام من أئمة المسلمين، وعلم من أعلام الدين، وأمير المؤمنين في الحديث، توفي عام 161هـ.

ينظر : تهذيب : 4/111.

30-سفيان بن عيينة : أبو محمد، سفيان بن عيينة، بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي، الإمام الحجة، الفقيه، مُحدِث الحرم المكي، توفي عام 198هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 4/187، تقريب التهذيب : 151.

31-سيبويه : أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بـ (سيبويه) أول من دون النحو في كتاب سماه (الكتاب)، توفي عام 180هـ.

ينظر : نزهة الألباء : 54-58، بغية الوعاة : 2/229.

32-شريح القاضي : أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس الكندي، الكوفي، القاضي، اختلف في صحبته، والمشهور أنه كان في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكنه لم يره، ويعد من كبار التابعين، ثقة، إمام، ومن اشهر القضاة، توفي عام 78هـ.

ينظر : الإصابة : 2/146.

33-الطحاك بن عبد الرحمن بن غزرب، الأزدي، الأشعري، الدمشقي، من ثقاة التابعين، ولي دمشق في زمن عمر بن عبد العزيز، توفي عام 105هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 4/446.

34-طاووس بن كبسان اليماني، من أكابر التابعين في الحديث، والفقه، والزهد، والورع، كان قوالاً للحق لا يخاف في الله لومة لائم، توفي عام 105هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 5/8، تقريب التهذيب : 188، الأعلام : 3/322.

35-الطبري : محمد بن حرير الطبري، إمام مجتهد، وأحد أعلام التفسير، والحديث، توفي عام 310هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/106-114، شذرات الذهب : 2/260.

36-عاصم الكوفي : أبو بكر، عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي، شيخ القراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، توفي في الكوفة عام 129هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 1/5175، النشر : 1/155، المغني في توجيه القراءات : 1/29-31.

37-عبد القاهر الجرجاني : أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان، توفي عام 471هـ.

ينظر : الأعلام : 4/174.

38-إبن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم الغرناطي، مفسر، فقيه، عارف بالأحكام، والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، توفي عام 540هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/260-261.

39-أبو عمرو البصري : زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، إمام البصرة ومقرؤها من أعلم الناس بالقرآن، والعربية والشعر، توفي عام 154هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 1/237، النشر : 1/134، المغني في توجيه القراءات : 1/24-26.

40-قتادة بن دماعة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري، تابعي، إمام، وحجة ثقة، من أحفظ أهل زمانه للحديث، وأعلمهم بالقرآن، والفقه، واللغة، والأنساب، وأيام العرب، توفي عام 116هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 8/351، تقريب التهذيب : 305.

41-إبن قتيبة : أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أحد أئمة اللغة، والنحو، ولد ببغداد وسكن بها، ثم انتقل إلى بلاده (دينور) وتولى قضاءها، توفي بها عام 276هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/245، مقدمة محقق كتاب (تأويل مشكل القرآن) : 2-76، الأعلام : 4/280.

42-القرطبي : أبو عبد الله، محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري، الخزرجي القرطبي، من أفاضل علماء المالكية، ومن كبار المفسرين، وهو صاحب التفسير المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، توفي عام 671هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 3/335، الأعلام : 6/217، القرطبي ومنهجه في التفسير : 6-30.

43-القشيري : أبو القاسم، عبد الرحيم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري، من بني قشر، شيخ خراسان في عصره، مفسر، من أئمة الشافعية، صنف (التيسير في التفسير)، و(لطائف الإشارات)، توفي بنيسابور عام 465هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/291-293، الأعلام : 4/120.

44-قطرب : أبو علي، محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي بن احمد القفال، من كبار علماء عصره بالفقه، والحديث، واللغة، توفي عام 206هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 2/15، الأعلام : 7/315.

45-الفراء : أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الدليمي، المعروف (بالفحاء) إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو، واللغة، وفنون الأدب، توفي عام 207هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 11/212، الأعلام : 9/178.

46-الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميمي، اليربوعي، من أفاضل اتباع التابعين في العبادة، والتقوى، ثقة في الحديث، توفي عام 187هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 8/294، تقريب التهذيب : 301.

47-إبن كثير المكي : عبد الله بن كثير بن عمرو المكي الداري، من التابعين، ومن القراء السبعة، توفي عام 120هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 1/157، النشر : 1/120، المغني في توجيه القراءات : 1/36-37.

48-الكسائي : أبو الحسن، علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الكوفي، إمام أهل الكوفة، من تابعي التابعين، أحد القراء السبعة، توفي بالري عام 189هـ.

ينظر : شذرات الذهب : 1/5321، النشر : 1/172، المغني في توجيه القراءات : 1/36-37.

49-الكرماني : أبو القاسم، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، يعرف بـ (تاج القراء)، عالم بالقراءات، نحوي، مفسر، من أهل كرمان، توفي بعد عام 500هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/312، معجم المفسرين : 2/662-663.

50-الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي : أحد الأئمة الأعلام المجتهدين، توفي عام 175هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 8/459، تقريب التهذيب : 311.

51-الماوردي : علي بن محمد بن حبيب، أقضى قضاة عصره، ومن كبار علماء الشافعية، مفسر، له تصانيف كثيرة نافعة، توفي عام 450هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/423-425، شذرات الذهب : 3/285.

52-المبرد : أبو العباس، محمد بن يزيد الارادي، البصري، إمام العربية ببغداد، توفي عام 285هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/267، شذرات الذهب : 2/190.

53-محمد بن سيرين : أبو بكر بن أبي عمرة البصري، إمام عصره، وفقيه دهره، ومن أجل علماء التابعين، كان ثقة مأموناً، ورعاً كثير العلم، توفي في البصرة عام 110هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 9/214، تقريب التهذيب : 322.

54-أبو مسلم الأصفهاني : محمد بن بحر الأصفهاني، وال من أهل أصفهان، معتزلي من كبار الكتاب، كان عالماً بالتفسير، وبغيره من صنوف العلم، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير، توفي عام 322هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/106، الأعلام : 6/273.

55-مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، كان متروك الحديث، توفي بالبصرة عام 150هـ.

ينظر : تهذيب التهذيب : 10/279.

56-إبن المقرئ : إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشرجي، الحسني، الشاوري، اليمني، من أهل اليمن، لهُ (الإرشاد في فروع الشافعية)، اختصر به (الحاوي).

ينظر : الضوء اللامع : 2/292، البدر الطالع : 1/142.

57-النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر الموصلي، المقرئ، المفسر، توفي عام 351هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 2/132، معجم المفسرين : 2/513.

58-النووي : أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي، الشافعي، علاّمة باللغة، والحديث، ويعد من كبار المذهب الشافعي، توفي عام 676هـ.

ينظر : الأعلام : 9/184، الفتح المبين : 2/84-85، أصول الفقه تاريخه ورجاله : 259.

59-إبن همام : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي، من العلماء الكبار في التفسير، والفقه، توفي عام 861هـ.

ينظر : الضوء اللامع : 8/127-132هـ، شذرات الذهب : 4/231.

60-الواحدي : علي بن احمد بن محمد بن علي بن متوبة، مفسر، عالم بالأدب، مولده بنيسابور ووفاته فيها عام 468هـ.

ينظر : طبقات المفسرين : 1/387-390، شذرات الذهب : 3/330.

الإهداء

إلى أبوي العزيزين

إلى الشيخ الدكتور عبد الله محمد كريم

إلى زوجتي العزيزة الفاضلة

إلى إخواني وأحبابي وكل من له فضل علينا

أهدي هذا الجهد المتواضع إجلالاً وإكراماً لهم.

الباحث

كلمة شكر

أحمدك ربي على توفيقك وامتنانك، وأشكرك على جزيل فضلك وعظيم إحسانك والصلاة والسلام على صفوة رسلك وأنبيائك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ومن عرفان الفضل لأهله، أتقدم بخالص التقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور عمار عبد الكريم على طول صبره وتحمله إياي في بحثي هذا، فاله يتولى أجره.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص تقديري إلى مشايخي الأفاضل، أمثال الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبد الله.

وكما أشكر كل من كانت له مساهمة في تهيئة السبل لإتمام هذه الرسالة أمثال الشيخ الدكتور حسين السامرائي، والأخ بشار عباس، والسيد أحمد المشهداني، والسيد إبراهيم المشهداني، والأستاذ خالد المشهداني، وكل موظفي مكتبة الجامعة الإسلامية، فجزاهم الله عني خير الجزاء إنه ولي ذلك القادر عليه وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِمة :

الحمد لله الذي أعطى نَبيه القرآن ومثلَهُ معه، وصلى الله على من أوتي من الكلم جوامعه، وعلى آله وصحبه ومن تبعه.

أما بعد …

فإن من عظيم لطف الله بعباده، ومننه الوافرة التي تفوق الحصر، أن هيأ لهذه الأمة في مختلف العصور علماء عاملين مخلصين، وقفوا حياتهم على خدمة الشريعة ونشرها بين الناس تعليماً وتأليفاً،…

ولقد رمى إبن عادل الحنبلي بسهمه ضمن سهام علماء التفسير، فألف كتابه (اللباب في علوم الكتاب) الذي احتوى في دفتيه معلومات كثيرة لا في علم التفسير فحسب بل في كثير من العلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم وتفسيره.

ولقد كانت رغبتي في الكتابة بأحد الموضوعات التي لها علاقة بالقرآن الكريم، وكان أن أطلعت على كتاب إبن عادل الحنبلي فأعجبت بآرائه وأفكاره وتفسيراته لآيات الذكر الحكيم، ومما زاد في رغبتي في هذا الموضوع أهمية هذا التفسير وإغفال الباحثين له، ومن هنا بدأ الدافع العلمي والرغبة الأكيدة في بيان هذا التفسير ومكانته في المكتبة الإسلامية.

ولقد قسمت الرسالة بعد هذه المقدمة إلى ثمانية فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول، عصر إبن عادل، حياته، مؤلفاته، وفيه مبحثان :

الأول : العصر الذي عاش فيه إبن عادل سياسياً، واجتماعياً، وعلمياً.

والثاني : حياة، ومؤلفات الإمام المفسر إبن عادل الحنبلي.

ثم جاء الفصل الثاني، فجعلته في مبحثين :

المبحث الأول : دراسة عامة للتفسير.

المبحث الثاني : المصادر التي اعتمدها إبن عادل في تفسيره.

ثم جاء الفصل الثالث، تناولت فيه الأسس التي اعتمدها إبن عادل في تفسيره، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسُّنَة.

المبحث الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع : موقفه من الإسرائيليات.

ثم جاء الفصل الرابع، وجعلتهُ لبيان (منهجه في اللغة والنحو) وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أدلة الصناعة اللغوية، والنحوية التي اعتمدها في تفسيره.

المبحث الثاني : اعتماده على مسائل اللغة في تفسيره.

المبحث الثالث : اعتماده على المسائل النحوية في تفسيره.

ثم جاء الفصل الخامس ، تكلمتُ فيه عن الإعجاز القرآني، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نظرية النظم عند إبن عادل.

المبحث الثاني : الفنون البلاغية في تفسيره.

المبحث الثالث : الإعجاز العلمي في القرآن.

ثم جاء الفصل السادس، تناولت فيه علوم القرآن في تفسير (اللباب) وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : القراءات القرآنية، وما يتعلق بها.

المبحث الثاني : أسباب النزول.

المبحث الثالث : الناسخ والمنسوخ.

المبحث الرابع : المكي والمدني.

المبحث الخامس : المحكم والمتشابه.

المبحث السادس : الوجوه والنظائر

المبحث السابع : المناسبات بين الآيات والسور.

المبحث الثامن : العلوم الأخرى التي عُني بها إبن عادل.

ثم جاء الفصل السابع، فتناولت فيه أبرز المسائل العلمية والعقلية، التي تناولها إبن عادل في تفسيره، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المسائل الفقهية في تفسيره.

المبحث الثاني : المسائل الأصولية في تفسيره.

المبحث الثالث : المسائل الكلامية في تفسيره.

ثم جاء الفصل الثامن، والأخير، فكان لبيان القيمة العلمية للتفسير، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تفسير إبن عادل ماله وما عليه.

المبحث الثاني : بيان أثره فيمن جاء بعده.

ثم جاءت الخاتمة مُلَخِّصَة لأهم النتائج التي توصلت إليها في رسالتي هذه.

وكانت ثمَّة صعوبات وقفت في طريق إعداد هذا البحث، ولعلَّ أبرزها هي الحالة التي يعيشها بلدنا، وتدهور الأوضاع الأمنية.

ومع هذا فلقد بذلت كلَّ ما أستطيع من جهد في إعداد هذه الرسالة العلمية، على قدر طاقتي ومعرفتي، فإن أحسنتُ فمن اله وإن قصرت وأخطأت فمن نفسي والشيطان، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت لإبراز منهج ذلك المفسر الجليل، وأكون بهذا قد قدمت عملاً أرجو من الله أن يقبله خالصاً لوجهه تعالى.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين…

الخاتمة :

لقد كان إبن عادل الحنبلي، من علماء القرن التاسع الهجري، فهو قوي الحجة، ساطع البرهان، جامع بين المعقول والمنقول، بارع في توضيح المشكلات وكشف الغوامض، والعناية بشرح الأقدمين، وقد أسهم الحنبلي في خدمة كتاب الله عز وجل فقدم لنا تفسيره المسمى (اللباب في علوم الكتاب) الذي يعد بحق موسوعة علمية تنمُ عن عقلية كبيرة، ومرجعاً علمياً مهماً في كثير من العلوم النقلية والعقلية.

وبعد هذا كان علي أن أبين أهم ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج :

1-لقد تبين لي، أن تفسيره والمسمى (اللباب في علوم الكتاب) هو ثابت النسبة إلى إبن عادل الحنبلي كما ذكرت.

2-تنوعت وتعددت مصادر إبن عادل في تفسيره، فقد نقل محتويات كتب كاملة مثل كتاب (الدر المصون، والتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب) في تفسيره.

3-وقد تبين لي أن إبن عادل جمع في تفسيره للآيات بين المأثور والمنقول القائم على الأسس العلمية، وهو أرفع أصناف التفسير كما قال العلماء، ولهذا يمكن أن يعد هذا التفسير من أهم كتب التفسير بالرأي.

4-واتضح لي أنه يفسر القرآن بالقرآن وكذلك بالسُّنَّة وأقوال الصحابة والتابعين.

5-وهو يحتج بالأحاديث الصحيحة التي وردت في كتب الصحاح، كما احتج بالأحاديث الضعيفة في بيان فضائل السور.

6-وقد ظهر لي أن إبن عادل يرفض الروايات الإسرائيلية، وكذلك الأخبار التي تعارض كتاب الله ويفندها مبيناً ضعفها في كثير من المواطن لا سيما ما يمس عصمة الأنبياء والطعن بالصحابة الكرام.

7-لقد اهتم إبن عادل الحنبلي بمسائل العقيدة، وللمقدرة العلمية التي تميز بها استطاع أن يبرز عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وهو صاحب حجة وبرهان ساطع في الرد على الفرق.

8-الثقافة الواسعة التي تمتع بها إبن عادل والنقل عن جم من العلماء جعل تفسيره حافلاً بكثير من الآراء والقضايا النحوية واللغوية والفقهية في تفسيره.

9-ومن خلال الدراسة لمنهجه اتضح لي أن إبن عادل لم يكن متعصباً لمذهبه بل التزم الرأي الراجح عند العلماء.

10-وتبين لي أن إبن عادل اهتم بالقراءات القرآنية، فهو على دراية كافية بها، فقد استعان بها في تعليل الأحكام الفقهية، وتوجيه المسائل اللغوية والنحوية.

11-يعد إبن عادل من المدافعين عن القراءات السبع والمشهورة وهو يرفض أي طعن فيها.

12-وقد عُني إبن عادل في كثير من علوم القرآن، كالقراءات، وأسباب النزول، والمكي والمدني،…

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

1. ينظر : اللباب : 16/326-327. [↑](#footnote-ref-0)
2. ينظر : اللباب : 3/288. [↑](#footnote-ref-1)
3. سورة البقرة : 70. [↑](#footnote-ref-2)
4. اللباب : 2/367. [↑](#footnote-ref-3)
5. ينظر : شرح العقائد النسفية، للتفتازاني : 33-34، شرح النسفية في العقائد، للسعدي : 52-54. [↑](#footnote-ref-4)
6. سورة الأنبياء : 22. [↑](#footnote-ref-5)
7. اللباب : 13/470-471. [↑](#footnote-ref-6)
8. اللباب : 9/114. [↑](#footnote-ref-7)
9. سورة الأعراف : 54. [↑](#footnote-ref-8)
10. اللباب : 9/145-146. [↑](#footnote-ref-9)
11. ينظر : تاريخ المذاهب الإسلامية : 149. [↑](#footnote-ref-10)
12. ينظر : المعتقد في أصول الدين : 86-93، شرح العقيدة الطحاوية : 1/174. [↑](#footnote-ref-11)
13. شرح العقيدة الطحاوية : 1/173، وينظر : تاريخ المذاهب الإسلامية : 149-159. [↑](#footnote-ref-12)
14. سورة الأعراف : 2. [↑](#footnote-ref-13)
15. اللباب : 9/5-6. [↑](#footnote-ref-14)
16. سورة الشعراء : 10. [↑](#footnote-ref-15)
17. اللباب : 15/8. [↑](#footnote-ref-16)
18. شرح العقائد النسفية، لسعد الدين التفتازاني : 91-92. [↑](#footnote-ref-17)
19. سورة الأعراف : 143. [↑](#footnote-ref-18)
20. اللباب : 9/300. [↑](#footnote-ref-19)
21. سورة القيامة : 22،23. [↑](#footnote-ref-20)
22. سورة الأنعام : 103. [↑](#footnote-ref-21)
23. سورة الأعراف : 198. [↑](#footnote-ref-22)
24. سورة آل عمران : 77. [↑](#footnote-ref-23)
25. سورة الأعراف : 143. [↑](#footnote-ref-24)
26. سورة الحديد : 13. [↑](#footnote-ref-25)
27. سورة الأعراف : 53. [↑](#footnote-ref-26)
28. اللباب : 20/565-566. [↑](#footnote-ref-27)
29. شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، 96. [↑](#footnote-ref-28)
30. سورة التوبة : 14. [↑](#footnote-ref-29)
31. اللباب : 10/38. [↑](#footnote-ref-30)
32. ينظر : شرح العقائد النسفية : 96. [↑](#footnote-ref-31)
33. سورة النساء : 122. [↑](#footnote-ref-32)
34. اللباب : 7/34. [↑](#footnote-ref-33)
35. سورة الأنعام : 22. [↑](#footnote-ref-34)
36. اللباب : 8/409. [↑](#footnote-ref-35)
37. ينظر : شرح العقائد النسفية، للتفاتازاني : 155، وأصول الدين، 167-168. [↑](#footnote-ref-36)
38. سورة البقرة : 124. [↑](#footnote-ref-37)
39. اللباب : 2/456-457. [↑](#footnote-ref-38)
40. سورة النساء : 106. [↑](#footnote-ref-39)
41. اللباب : 7/6. [↑](#footnote-ref-40)
42. سورة الأنعام : 52. [↑](#footnote-ref-41)
43. سورة الشعراء : 114. [↑](#footnote-ref-42)
44. سورة الأنعام : 90. [↑](#footnote-ref-43)
45. سورة الكهف : 28. [↑](#footnote-ref-44)
46. ذكره الرازي في تفسيره : 12/193-194. [↑](#footnote-ref-45)
47. اللباب : 8/160-161. [↑](#footnote-ref-46)
48. اللباب : 1/496. [↑](#footnote-ref-47)
49. اللباب : 1/299. [↑](#footnote-ref-48)
50. سورة التوبة : 40. [↑](#footnote-ref-49)
51. اللباب : 10/95. [↑](#footnote-ref-50)
52. سورة المجادلة : 7. [↑](#footnote-ref-51)
53. اللباب : 10/96. [↑](#footnote-ref-52)
54. اللباب : 3/114. [↑](#footnote-ref-53)
55. المصدر نفسه : 8/527-528. [↑](#footnote-ref-54)
56. المصدر نفسه : 2/52. [↑](#footnote-ref-55)
57. المصدر نفسه : 7/317. [↑](#footnote-ref-56)
58. المصدر نفسه : 9/382. [↑](#footnote-ref-57)
59. المصدر نفسه : 4/215. [↑](#footnote-ref-58)
60. ينظر : المصدر نفسه : 1/195، 1/366، 3/288. [↑](#footnote-ref-59)
61. ينظر : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية 137، الملل والنحل : 1/54-60. [↑](#footnote-ref-60)
62. ينظر : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية 188. [↑](#footnote-ref-61)
63. ينظر : اللباب : 12/47. [↑](#footnote-ref-62)
64. ينظر : الملل والنحل : 1/155، جذور الفتنة في الفرق الإسلامية 168. [↑](#footnote-ref-63)
65. ينظر : اللباب : 10/594. [↑](#footnote-ref-64)
66. ينظر : الملل والنحل : 1/85. [↑](#footnote-ref-65)
67. ينظر : اللباب : 4/295. [↑](#footnote-ref-66)
68. تاريخ التفسير : 21. [↑](#footnote-ref-67)
69. ينظر : رسالة ماجستير (دراسة منهج الخطيب الشربيني) : 53. [↑](#footnote-ref-68)
70. ينظر : حاشية فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل : 50. [↑](#footnote-ref-69)
71. ينظر : الآلوسي : 16/258. [↑](#footnote-ref-70)